

الكشاف

" للتي هي أقوم " للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها . أو للملة . أو للطريقة .
وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف
بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه . وقرئ : ويبشر بالتخفيف فإن قلت : كيف ذكر المؤمنين
الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة ؟ قلت : كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما
حدث أصحاب المنزل بين المنزلتين بعد ذلك . فإن قلت : علام عطف " إن الذين لا يؤمنون " ؟
قلت : على " أن لهم أجرا كبيرا " على معنى : أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين :
بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد : ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون .
" ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا " .
أي : ويدعو إلى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله : " ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير " يونس : 11 ، " وكان الإنسان عجولا " يتسرع
إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأني المتبصر . وعن النبي A : أنه
دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له : مالك تئن ؟ فشكا ألم القد
فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي A دعا به فأعلم بشأنه فقال A
" اللهم اقطع يديها " فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي A :
" إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأنني بشر أغضب كما
يغضب البشر فلترد سودة يديها " ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب
استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة . " وكان الإنسان عجولا " يعني أن
العذاب آتية لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هو النضر بن الحرث
قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا .
" وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا " .
فيه وجهان أحدهما : أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية
الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أي : فمحونا الآية التي هي الليل
وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة . والثاني : أن يراد : وجعلنا نيري الليل والنهار
آيتين يريد الشمس والقمر . " فمحونا آية الليل " : أي جعلنا الليل ممحوا الضوء مطموسه
مظلم لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح المحو وجعلنا النهار مبصرا أي تبصر
فيه الأشياء وتستبان . أو فمحونا : آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا

كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء " لتبتغوا فضلا من ربكم " لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معاشكم " ولتعلموا " باختلاف الجديدين " عدد السنين و " جنس " الحساب " وما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الأوقات ولتعطلت الأمور " وكل شيء " مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم " فصلناه " بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا .

" كل إنسان أزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا "